الموضوع السادس

فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته

تناول هذا الموضوع في مقدمته الواحدي[١]، والبغوي[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، والخازن[٥]، وابن جزي[٦]، وأبو حيان[٧]، وابن كثير[٨]، وأولاه

=والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠٠ط البغا.

قلت: واختلف أهل العلم في أول المفصل على اثني عشر قولاً كما أفاد السيوطي في إتقانه، وصحح النووي أن أول المفصل سورة «الحجرات».

وهو - أي المفصل - ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار، وفي تعيينها خلاف. انظر في ذلك: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠٠ط البغا - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٩٩ بتحقيقي. - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٤٥.

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٤٩.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٣٨ - ٤١.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٤ - ٢٦.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٢ - ٤ - ١٠ - ١٧ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٩ - ٥٤ - ٦١ -٧٨.

(٥) انظر: تفسير: ١/ ٤ - ٦.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ٣ - ٢٤.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٢٣.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ١٢.

القرطبي من بين المذكورين عناية خاصة، فشغلت حيزاً كبيراً من مقدمته، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: في التنبيه على أحاديث ضعيفة وُضِعَت في الفضائل[1]:

نبه القرطبي - يرحمه اللَّه - في مقدمته إلى أمر هام، حين ذكر أن جماعة من الوضاعين، وضعوا أحاديث مكذوبة، وأخبار مختلفة، في الفضائل عامة وفي فضائل القرآن خاصة، ونسبوا ذلك إلى رسول اللَّه ﷺ وكبار الصحابة وسلف الأمة، وبيَّن اختلاف مقاصد وأغراض تلك الجماعات[2].

وقد انتشرت تلك الموضوعات بين عامة المسلمين، وتناقلها القصاص، ووُجِدت في ثنايا كتب بعض المنتسبين للعلم دون التنبيه عليها.

وكان لهذا الإفك أغراض عديدة فمنها:

١- إيقاع الشك ببعض أمور الدين في قلوب الناس، كما فعل قوم من الزنادقة أمثال المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي

---

(١) قدمت هذا الفصل بهذه المسألة، وقد أخرها القرطبي فذكرها في خاتمة مقدمته، وذلك لتنبيه القارىء، إلى خطورة هذا الأمر، ومن ثم ليولي انتباهاً خاصاً لدرجة الأحاديث والآثار التي قد تمر به في هذا الباب. فإن المحفوظ عند الخاصة والعامة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة في الفضائل تفوق الصحيحة واللَّه أعلم.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - وانظر: المجروحين لابن حبان: ١/ ٦٢ - ٨٥.

المصلوب وغيرهما، فقد افترى هذا الأخير على أنس بن مالك أنه قال في قوله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي.» فزاد الراوي: «إلا ما شاء اللّه» لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.(١)

٢- ما وضع تبعاً للهوى، كما فعلت الخوارج، قال أحد شيوخهم بعد أن منَّ اللّه عليه بالتوبة: إن هذه الأحاديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيَّرناه حديثاً.(٢)

٣- ما وضع حسبة من بعض جهلة المسلمين، يريدون به حسب زعمهم ترغيب الناس في الفضائل(٣)، كما فعل نوح بن أبي مريم المروزي المعروف بأبي عِصْمَة(٤)، وكما فعل محمد بن عكاشة الكرماني وغيرهما،

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٧٨ - أورده ابن الجوزي في الموضوعات: ١/ ٢٧٩ - ٣٧٧ - والسيوطي في اللآلىء المصنوعة: ١/ ١٣٧ - والشوكاني في الفوائد المجموعة: ٣٢٠ وقال: رواه الجوزقاني.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - وكتاب المجروحين لابن حبان: ١/ ٨٢.

(٣) قال النووي: أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد، وضعوه حسبة في زعمهم. تدريب الراوي للسيوطي: ١/ ٢٨٢ط دار الكتب الحديثة.

(٤) هو قاضي مرو، كان يُعرف بالجامع لجمعه العلوم، كذبوه في الحديث قال ابن المبارك: كان يضع الحديث. انظر ترجمته: المجروحين لمحمد بن حباز البستي: ٣/ ٤٨ - والضعفاء الكبير للذهبي: ٤/ ٣٠٤ - والكامل في الضعفاء لابن عدي: ٧/ ٢٥٠٥.

وقد قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق؛ فوضعت هذا الحديث حسبة.[١]

٤- ما وضع من بعض السؤَّال والمُكِدِّين، يقصدون به جمع المال، فيقفون في المساجد ويضعون لكل مجلس ما يوافق هواهم، ليعطوهم، وقد يضعون لموضوعاتهم أسانيد صحيحة حفظوها، ومن ذلك القصة المشهورة في أجر من قال: لا إله إلا اللَّه، والتي ذكرها جعفر بن محمد الطيالسي[٢]، عن القاص الذي نسب إلى ابن حنبل وابن معين ما لم يقولاه، وأوردها القرطبي بطولها في مقدمته.[٣]

وغير ذلك من الأغراض والأهداف، التي تناولها الوعيد الوارد في قوله ﷺ: اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - تدريب الراوي للسيوطي: ١/ ٢٨٢ط دار الكتب الحديثة.

(٢) هو جعفر بن محمد بن أبي عثمان الطيالسي، حافظ مجود، ثبت ثقة، اشتهر بالإتقان والحفظ والصدق، توفي (٢٨٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٣٤٦ - وتاريخ بغداد للخطيب: ٧/ ١٨٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٩ - وانظر: كتاب المجروحين لابن حبان: ١/ ٨٥.

مقعده من النار.[١]

قال القرطبي: ولو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك غُنية، وخرجوا عن تحذيره ﷺ.[٢]

المسألة الثانية: في ذكر شيء من فضائل القرآن:

ذكر المفسرون في مقدماتهم كثيراً من الأحاديث والآثار وأخبار السلف وعاداتهم مع القرآن، وتفاوتت درجات المرويات بين الصحيح الثابت وبين الضعيف المردود، وغالب تلك المرويات هي مما حفلت به كتب التفسير والفضائل، وأرى أن الاقتصار على ذكر نماذج منها في هذا الموضع هو الأسلم.

وفي هذه المسألة عدة مطالب:

المطلب الأول: فضل الاعتصام بكتاب اللّه:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠ - والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: (ح٢٦٧٥ - ٤/ ٢٣٥) وقال شاكر: إسناده ضعيف، لضعف عبد الأعلى الثعلبي. وهو في المجمع: ١/ ١٤٦ ونسبه للطبراني وأعله بعبد الأعلى. وأصله في البخاري، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ: ١/ ٣٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠.

روى الواحدي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إني قد خَلَّفْتُ فيكم شيئين لن تضلوا أبداً ما أخذتم بهما، وعملتم بما فيهما، كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض.[١]

وأخرج البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: أما إن نبيكم ﷺ قال: إن اللَّه تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.[٢] قال البغوي: صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب[٣].

---

(١) تفسير الواحدي: ١/ ٥٠ - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٩٣ وسكت عنه - وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات كما ذكر السيوطي وابن عقيلة، وأشار السيوطي إلى حسنه، وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير: (ح٣٢٢٧ - ٣/ ١١١). وقال المناوي:، ورواه عنه أيضاً الدارقطني باللفظ المذكور وفيه - كما قال - الفريابي صالح بن موسى ضعفوه، وعنه داود بن عمر الضبي قال أبو حاتم: منكر الحديث. انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٤٣، وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٤٢ - ورواه أحمد في المسند: ٣/ ١٧ - ٢٦ عن أبي سعيد - وذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والسامع: ١/ ١١١.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤٠ - وأورده الخازن في تفسيره: ١/ ٤ - وهو في مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه: ١/ ٥٥٩.

(٣) هو زهير بن حرب بن شداد الحرشي، أبو خيثمة، محدث حافظ حجة، صاحب تصانيف مشهورة، توفي (٢٣٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٤٨٩ - وتاريخ بغداد للخطيب: ٨/ ٤٨٢.

وعن زيد بن أرقم[١] قال: قام رسول اللَّه ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى (خماً) بين مكة والمدينة، فحمد اللَّه وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد: ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب اللَّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب اللَّه ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي. وزاد في رواية: كتاب اللَّه فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ.[٢]

وأخرج البغوي بسنده عن الحارث الأعور[٣] قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي - رضي اللَّه عنه - فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ألا

---

(١) هو زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي، روى عن النبي ﷺ، وعن علي بن أبي طالب وعنه أنس بن مالك وغيره، غزا مع رسول اللَّه ﷺ سبع عشرة غزوة، توفي (٦٦هـ) انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٥٦٠ - وتهذيب الكمال للمزي: ١٠/ ٩.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٤ - والحديث في صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب: ٤/ ١٨٧٠ - وذكر ابن عطية نحوه: ١/ ١٤ - وأبو حيان في تفسيره: ١/ ٢٤ وغيرهم.

(٣) هو الحارث بن عبد اللَّه بن كعب الهمداني الكوفي الأعور، فقيه، كثير العلم، لين الحديث، تكلم فيه، وكان غالياً في التشيع. توفي (٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ١٥٢ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٧٣.

إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج منها يا رسول اللَّه؟ قال: كتاب اللَّه، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللَّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللَّه، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. خذها إليك يا أعور.

قال أبو عيسى: هذا لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، والحارث فيه مقال[1].

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٣٩. وأورده ابن عطية بنحوه في تفسيره: ١/ ١٣ - والقرطبي في تفسيره: ١/ ٥ وقال: الحارث رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء، ولم يَبِنْ من الحارث كذب، وإنما نُقم عليه إفراطه في حب عليٍّ وتفضيله له على غيره. ومن هاهنا - واللَّه أعلم - كذَّبه الشعبي؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أول من أسلم. قال ابن عبد البر: وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني: حدثني الحارث وكان أحد الكذابين. اهـ- والخازن في تفسيره: ١/ ١٢، وأخرجه الترمذي في سننه: (ح٣٠٧٠ - ٤/ ٢٤٥) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وهو في سنن الدارمي: (ح٣٣٣٤ - ٢/ ٣١٢) - وأخرجه الفريابي في فضائله: (ح٨٠ - ١٨٤) - وابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه عن علي: ١٠/ ٤٨٢ -=

المطلب الثاني: في ذكر شيء مما جاء في فضل تعلم القرآن وتعليمه:

أخرج البغوي بسنده وغيره عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ كان يقول: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأتْرُجَّة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها.(١)

=وانظر جامع الأصول: ٢/ ٤٦١.

وقد عقب الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن: ص، ٥ على قول الترمذي السابق فقال: لم يتفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرىء حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، قال: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي - رضي اللّه عنه - وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد اللّه ابن مسعود - رضي اللّه عنه - عن النبي ﷺ.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ وقال: صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦، ٧ - الخازن: ١/ ٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وهو في صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام: ٦/ ١٠٧، وباب: من رايا بقراءة القرآن أو تأكل به: ٦/ ١١٥، وفي الطعام: ٦/ ٢٠٧،=

وأخرج البغوي بسنده عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن مأدبة اللَّه فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل اللَّه والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن اللَّه عزَّ وجلَّ يأجركم على تلاوته، بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف.

وهو في الخازن بلفظ: من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف.... الحديث[1].

وأخرج البغوي بسنده أيضاً عن عثمان عن النبي ﷺ قال: خيركم

=والتوحيد: ٨/ ١٢٨ - وفي صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ القرآن: (ح٧٩٧ - ١/ ٥٤٩) - والإمام أحمد في المسند، انظر الفتح الرباني للساعاتي: ١٨/ ١٢ - والترمذي في سننه: (ح٣٠٢٥ - ٤/ ٢٢٧) - والنسائي في فضائل القرآن: (ح١٠٦ - ١١١) - والبيهقي في الشعب: (ح٣٩ - ١/ ١٠٣).

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٠ - وهو في القرطبي بألفاظ متقاربة: ١/ ٥ وعزاه لابن الأنباري في الرد على من خالف مصحف عثمان. - وهو في الخازن: ١/ ٥ - وفي تفسير أبي حيان: ١/ ٢٤ - ولفظ البغوي أخرجه الدارمي في سننه: ٢/ ٤٣١، ولفظ الخازن أخرجه الترمذي في سننه: (ح٢٩١٠ - ٥/ ١٧٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - وابن الضريس في فضائل القرآن: (ح٥٩ - ٤٦) - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح٢٣ - ١٢) - وابن المبارك في الزهد: (ح٨٠٨ - ٢٧٩).

من تعلم القرآن وعلَّمه. وفي رواية زيادة: فإن اللَّه يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين[١].

وأخرج بسنده أيضاً عن عائشة - رضي اللَّه عنها - عن النبي ﷺ قال: مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران.[٢]

قال القرطبي: التتعتع: التردد في الكلام عياً وصعوبة؛ قال: وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شُبه بالملائكة.[٣]

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٣٩ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦ - والخازن: ١/ ٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وأبا حيان: ١/ ٢٤ بلفظ (أفضلكم) - وبوب عليه البخاري في صحيحه، وبهما وردت الرواية عنده، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلَّمَهُ: ٦/ ١٠٨.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤١ وقال: صحيح. وأورده ابن عطية بنحوه: ١/ ١٨ - والقرطبي: ١/ ٧ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وهو في البخاري: كتاب: التفسير، سورة «عبس»: ٦/ ٨١، وبوب عليه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب: (٥٢): ٨/ ١٤٢، وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر بالقرآن: (ح٧٩٨ - ١/ ٥٤٩)، وأخرجه غيرهما. وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٦٩.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٧.

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رجل: يا رسول اللَّه صلى اللَّه عليك وسلم، أي الأعمال أحب إلى اللَّه؟ قال: الحال المرتحل. قال: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القُرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحل.(١)

المطلب الثالث: ذكر شيءٍ مما جاء في فضل حامل القرآن:

أخرج البغوي بسنده عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إنَّ الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.(٢)

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٥ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: (١٣): (ح٢٩٤٨ - ٥/ ١٩٧) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي. وذكره من طريق آخر عن زرارة بن أوفى وقال: هذا عندي أصح. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٦٨ وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إن الشيخين لم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صالح المري متروك. - وأخرجه البيهقي في الشعب: (٦٦ - ١/ ١٥٩) - وابن جزي في النشر: ٢/ ٤٤٦ وانظر: تفسير (رواه الترمذي مرسلاً، وقال: إنه أصح. اهـ. وقطع بصحته أبو محمد المكي، وسكت عليه البيهقي في الشعب فلم يذكر فيه ضعفاً كعادته، وضعفه أبو شامة من قِبَل صالح المري.).

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤١ - وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٥ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: (١٨): (ح٢٩١٣ - ٥/ ١٧٧) وقال: حديث حسن صحيح. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٧ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه=

وأورد القرطبي عن ابن الأنباري بسنده عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله اللَّه الجنة وشفَّعَه في عشرة من أهل بيته كلُّ قد وَجَبَت له النار.[1]

=الذهبي في التلخيص وقال: قابوس فيه لين.

قال أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد: ٣/ ٢٩٠: إسناده صحيح، وقابوس بن أبي ظبيان سبق أن ضعفناه في الحديث رقم (٨٨٨) ولكن رأينا أن بعض الأئمة وثقه كابن معين ويعقوب بن سفيان، وأن الترمذي والحاكم يصححان حديثه، فاستدركنا ورجعنا إلى توثيقه. وأورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للترمذي والحاكم وأحمد ورمز لصحته، وقال المناوي: قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح. وفاتهما أن فيه قابوس بن أبي ظبيان ضعيف كما بينه ابن القطان، والراوي عن قابوس جرير، وفيه مقال، فالصحة له محال، ومن ثم استدركه الذهبي على الحاكم، وقال: قابوس لين، وقال النسائي: غير قوي. فيض القدير: ٢/ ٣٨٢ - والحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٣٥٩ - والنووي في التبيان: ٢٠ - وهو في كنز العمال للهندي: ١/ ٥٥٣.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٩ - وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٦ بنحوه، وعزاه للترمذي. وهو في الترمذي، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل قارىء القرآن: (ح٣٠٦٩ - ٤/ ٣٤٥) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس له إسناد صحيح، وحفص بن سليمان أبو عمر البزار - من رجال السند - كوفي يضعف في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ١/ ١٨٦: هو حفص بن أبي داود القارىء، صاحب عاصم، ويقال له حفيص متروك الحديث مع إمامته في القراءة... وأورده القرطبي في التذكار: ٥٥ وقال: وإن كان في إسناده مقال فإن العلماء مجمعون على القول به، وهو في المشكاة=

وأخرج البغوي بسنده عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.(١)

وأورد ابن عطية عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: أشراف أمتي حملة القرآن.(٢)

وأخرج البغوي بسنده عن مِشْرَح بن هاعان، قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار.

=للتبريزي: ١/ ٦٦٠ - والترغيب والترهيب للمنذري: ٣/ ٣٥٥ - وكنز العمال للهندي: ١/ ٥٢.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ - وعزاه للترمذي - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨ وعزاه لأبي داود. - والخازن: ١/ ١٨ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: (١٨): (ح٢٩١٤ - ٥/ ١٧٧) وقال: حديث حسن صحيح. - وأبو داود في سننه: (ح١٤٦٤ - ٢/ ٧٣)، والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٣ وصححه. والآجري في أخلاق أهل القرآن: (ح٩ - ٤٨) وفي مواضع أخرى.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ١٧ - وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٨٤ - ٣/ ١١٤٢) - والطبراني في الكبير: (ح١٣٦٦٢ - ١٢/ ١٢٥) بشطره الأول: قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٦١: وفيه سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف. - وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٣/ ١١٩٤ - والسهمي في تاريخ جرجان: ٢١٨ - قال الذهبي في الميزان: ٢/ ١٢١: وأما حديث حملة القرآن فرواه - سعد بن سعيد - عن نهشل وهو هالك. - وذكره المنذري في الترغيب: (ح٢٧ - ١/ ٤٣١).

قال البغوي: قيل معناه: مَنْ حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة.[١]

---

(١) وقال أبو عبيد: أراد بالقرآن قلب المؤمن الذي قد وعى القرآن. تفسير البغوي: ١/ ٣٩.

أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٥١ - ١٥٥ - وأبو عبيد في فضائله: (ح١٤ - ٨) والطبراني في الكبير: (ح٨٥٠ - ١٧/ ٣٠٨) - والدارمي في سننه: (ح٣٣١٣ - ٢/ ٣٠٩) - وأبو يعلى في المسند: ٣/ ٢٨٤ - والبغوي في شرح السنة: (ح١١٨٠ - ٤/ ٤٣٦) - وابن عدي في الكامل: ٦/ ٢٤٦٠ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٨، وقال: فيه ابن لهيعة، وفيه خلاف.

وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني عن عقبة بن عامر، وعن عصمة بن مالك ورمز لضعفه. قال المناوي:: قال الهيثمي: فيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك.

قال: وقضية تصرف المصنف أنه لم يخرجه أشهر ولا أعلى من الطبراني، وكأنه ذهول، فقد خرجه الإمام أحمد عن عقبو، ورواه عن عقبة أيضاً الدارمي، - قال الحافظ العراقي: وفيه ابن لهيعة - وابن عدي والبيهقي في الشعب عن عصمة المذكور وابن عدي عن سهل بن سعد - قال العراقي: وسنده ضعيف - وقال ابن القطان: فيه من كان يلقن - وقال الصدر المناوي: فيه عند أحمد ابن لهيعة عن مِشْرَح ولا يحتج بحديثهما عن عقبة. اهـ.

قال المناوي: لكنه يتقوى بتعدد طرقه، فقد رواه أيضاً ابن حبان عن سهل بن سعد، ورواه البغوي في شرح السنة وغيره. فيض القدير: ٥/ ٣٢٤ - وانظر: مجمع الزوائد: ٧/ ١٥٨ - والتذكار للقرطبي: ٦٣ - والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (ح٥١٥٨ - ٥/ ٦٦) - وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٦٥٥ تحقيقي.

المطلب الرابع: ذكر شيءٍ مما جاء في فضل بعض سور القرآن:

أخرج البغوي بسنده عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدَّثه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَان، أو كأنهما غَيَايَتَان أو كأنهما فِرْقَان من طير صَوَافَّ تُحاجَّان عن أصحابهما. اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حَسْرَة، ولا يستطيعها البَطَلَة.(١)

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة.(٢)

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ وقال: صحيح. وأورده ابن جزي بنحوه: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ١/ ٥٥٣ - والترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في آل عمران: (ح٢٨٨٣ - ٥/ ١٦٠) وقال: حديث حسن غريب - والبيهقي في الشعب: (ح٣٨١ - ٢/ ٦٨٤).

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - وأخرجه أبو عبيد في فضائله: (ح٤٠٩ - ١٥٩) - وأحمد في المسند: ٢/ ٢٨٤ و٣٣٧ - وفي الباب عن أنس وابن مسعود وعبد اللَّه بن مغفل، بلفظ: الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة. وهو في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٧٢٧ حاشية: (٣ و٤ و٥) تحقيقي.

وعن أُبي بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب اللَّه معك أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فَضَرَبَ في صدري وقال: واللَّهِ! لِيَهْنِكَ العِلْمُ يا أبا المُنْذرِ.(١)

وعن أبي الدرداء أن رسول اللَّه ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم الدجال.(٢)

وعنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن.(٣)

---

(١) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ١/ ٥٥٦.

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ١/ ٥٥٥ - وابن السني في عمل اليوم والليلة: (ح٦٨١ - ٢٥١) والبغوي في شرح السنة: (ح١٢٠٤ ٤/ ٢٦٩) - والبيهقي في الشعب: (ح٤٤٩ - ٢/ ٧٩٦) وأورده القرطبي في التذكار: ٢٤٧.

(٣) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤١٤ وعزاه لأبي عبيد وأحمد ومسلم وابن الضريس والنسائي، كلهم عن أبي الدرداء. وهو عند مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة ﴿قل هو اللَّه أحد﴾: ١/ ٥٥٧ - وهو في الموطأ لمالك: ١/ ٢٠٨ - وسنن الدارمي: (ح٣٤٣٥ - ٢/ ٣٣٠) - ومصابيح السنة للبغوي: (ح١٥٥٥ - ٢/ ١٢٤).

وعن عُقبة بن عامر[١] قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ألم تر آياتٍ أُنْزِلتِ اللّيلةَ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[٢].

المسألة الثالثة: ما يلزم قارئ القرآن الأخذ به وعدم الإغفال عنه:

فأول ما يلزم قارئ القرآن إخلاص النية للّه. والابتعاد عن الرياء والمباهاة: قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استُشهد فأتي به فعرَّفه نِعَمَه.... إلى أن قال: ورجلٌ تعلَّم العلم وعَلَّمَهُ، وقَرَأ القرآن فأُتي بِهِ فَعَرَّفه نِعَمَه فَعَرَفَهَا، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمتُه وقَرأتُ فِيكَ القُرآنَ. قال: كَذَبْتَ، ولكنك

---

(١) هو عقبة بن عامر بن عيسى بن عدي الجهني، يكنى أبا حماد، قارىء عالم بالفقه والفرائض، اشتهر بحسن صوته في قراءة القرآن، تولى إمرة مصر من قبل معاوية، توفي سنة (٥٨هـ). انظر تهذيب التهذيب لابن حجر: ٧/ ٢٤٢ - وأسد الغابة لابن عبد البر: ٣/ ٤٢١.

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - وهو في صحيح مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة المعوذتين: ١/ ٥٥٨.

تعَلَّمْتَ العِلْمَ ليُقَال عَالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ ليُقَال قارئٌ، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار.... الحديث.

وأورده الترمذي وزاد فقال: ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على رُكْبَتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثَلاثَةُ أوَّلُ خلق اللَّهِ تُسْعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يوم القيامةِ.(١)

قال ابن عبد البر: وهذا الحديث فيمن لم يُرِد بعلمه وعمله وجه اللَّه تعالى.(٢)

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من تعلم علماً مما يبتغى به وجه اللَّه لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضَاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة(٣).

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أنّ حملة

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٧ - وهو في صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة: ٣/ ١٥١٣ - والترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة: ٤/ ٥٩١ وقال: حسن غريب.

(٢) تفسير القرطبي: ١/ ١٨.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ١٩ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير اللَّه: (ح٣٦٦٤ - ٣/ ٣٢٣) - وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به: (ح٢٥٢ - ١/ ٩٢).

القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم اللَّه، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم اللَّه، وهانوا على الناس.[١]

أخرج البغوي بسنده عن خيثمة[٢] عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل، فقال عمران: إنا للّه وإنا إليه راجعون، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: من قرأ القرآن فليسأل اللَّه عزَّ وجلَّ به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به.[٣]

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٢٠.

تفسير القرطبي: ١/ ٢٠.

(٢) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي لأبيه ولجده صحبة، ثقة صالح، توفي (٨٠هـ). انظر: طبقات خليفة: ١٥٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/ ١٧٨.

(٣) تفسير البغوي: ١/ ٤٤ - وأخرجه أحمد في المسند: ١/ ٤٣٢ - ٤٣٦ - والآجري في أخلاق حملة القرآن: (ح٢١ - ١٠٦) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٤٨٠ - والبيهقي في الشعب: (ح٦٢١- ٦٢٢ - ٦٢٣ -: ٢/ ١٠٦١) من عدة طرق - والترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب (٢٠): ٥/ ١٧٩ وقال: حديث حسن ليس إسناده بذاك. وأورده النووي في التبيان: ٤٤.

وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والتكسب به، فمنهم من منعه مطلقاً كالزهري وأبي حنيفة، ومنهم من أباحه إن لم يشترط كالحسن البصري والشعبي وابن سيرين، ومنهم من أجازه كعطاء ومالك والشافعي. واحتاط بعضهم فرأى أن يشترط للحفظ وتعليم الكتابة. ويراجع في هذه المسألة معالم السنن للخطابي:= =٥/ ٧٠ والتبيان للنووي: ٤٤ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٧٥ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠٩ هامش (١) تحقيقي.

فيجب على قارئ القرآن الذي يطلب علمه أن يبادر بإخلاص النية، وأن يتقي اللَّه في عمله، لينتفع به وينفع. ولا يضير كونه بدأ يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فإنه بطلب العلم وفهمه يتبين له خطأه، ويظهر له الحق، قال الحسن البصري: كنا نطلب العلم للدنيا فجرَّنا إلى الآخرة[١]. وقال سفيان الثوري مثل ذلك. وعن حبيب بن أبي ثابت[٢]: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية.[٣]

ومما يلزم قارئ القرآن معرفته أيضاً، أن يستشعر من فضل القرآن الكريم أنه كلام اللَّه رب العالمين، وأنه غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفةُ من ليس له شبيه ولا نِدّ، وأن يعلم أن القراءة أصوات القراء ونغماتهم.

ومن ذلك أيضاً أن يتعاهد القرآن بالقراءة خشية الإفلات، في ليله ونهاره، فقد ورد الوعيد الشديد في حق من أهمله حتى نسيه، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: تعاهَدُوا هذا القُرْآنَ، فوالَّذي نفسُ محمد بيده لَهُوَ أشَدُّ

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٢٢.

(٢) هو حبيب بن أبي ثابت قيس ين دينار القرشي الأسدي، إمام حافظ فقيه، حدَّث عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما، أخرج له البخاري وغيره، توفي (١١٩هـ). انظر طبقات خليفة: ١٥٩ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢٨٨.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٢٢.

تفَلُّتاً من الإبل في عُقُلِهَا.[١]

وعن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - أن رسول اللَّه ﷺ قال: إنما مَثَلُ صاحبِ القرآنِ كمَثَلِ صاحبِ الإبل المعقَّلَة، إنْ عاهَدَ عليها أمْسَكَهَا، وإنْ أطْلَقَهَا ذهَبَت.[٢]

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٦ - وهو في البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١١١ - وفي مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٥.

قلت: هذا الحديث يشير فيه الرسول ﷺ إلى أن من تمام وكمال تعظيم القرآن الحرص على عدم نسيانه، والتشبيه بليغ، فكما يخشى على الإبل أن تفلت إن لم تجد الرعاية والعناية، كذلك يخشى على القرآن. وقد اختلف أهل العلم في حكم نسيان القرآن، فمنهم من جعل ذلك من الكبائر، أخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً قال: ما من أحد يتعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأن اللَّه يقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] ونسيان القرآن من أعظم المصائب. ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن هبيرة قوله: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة. وعن القرطبي قوله: من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخلَّ بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد. فتح الباري: ٩/ ٨٦ و١٢/ ٤٤٤.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١٠٩ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٣.

وعن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: بئسَ ما لأحَدِهِم أن يقول نسيتُ آية كيتَ وكيتَ، بل هو نُسِّيَ، واستذكِروا القرآن فإنَّه أشَدُّ تَفَصِّياً من صُدُورِ الرجال من النَّعَم. وفي رواية: لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نُسِّي.(١)

وعن سعد بن عبادة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي اللَّه تعالى يوم القيامة أجذم.(٢)

وعن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: عُرِضَتْ عليَّ أجُورُ أُمَّتِي حتى القَذَاةُ يُخرِجُهَا الرجل من المَسْجِدِ، وَعُرِضتْ عليَّ ذُنُوبُ أمَّتِي فلم أرَ فيها ذَنْباً أعظمَ من سُورَةٍ من القرآن، أو آيةٍ أوتِيَها رجُلٌ ثُمَّ نَسِيَها.(٣)

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١٠٩ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٣ - وكذا الرواية الأخرى. وأورد ابن جزي شطره الأخير في تفسيره: ١/ ٢٤.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٧ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في حفظ القرآن: ٢/ ٧٥ - وأحمد في المسند: ٥/ ٢٨٤. والدارمي في السنن، كتاب: فضائل القرآن، باب: من تعلم القرآن ثم نسيه: (ح٣٣٤٣ - ٢/ ٣١٤)ط باكستان ١٤٠٤هـ.

(٣) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه أبو داود في سننه: ١/ ١٢٦ - والترمذي في سننه،=

وينبغي له أن يحمد اللَّه دائماً على ما وفقه إليه، فيذكره ويشكره، ويتوكل عليه ويستعين به، ويرغب إليه ويعتصم به، يخشى ذنبه، ويرجو عفو ربه، يراقب اللَّه فيما أمره ونهاه، ويحتاط لدينه.

كما ينبغي له أن يمتاز عن غيره بأخلاقه وأفعاله، فيكون له سمته الخاص، يقول ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون[1]، وبحزنه إذا الناس يفرحون. وعليه بالحلم والوقار، وتجنب الكبر والإعجاب، وترك الجدل والمراء، والتصاون عن طُرق الشبهات، وأن يكون قليل الضحك والكلام في مجالس القرآن، كما عليه أن يكون سمحاً حليماً يعفو ويصفح، يؤمَنُ شرَّه، ويُرجى خيره، ويُسلَمُ من ضرُّه.

كما ينبغي له أن يفهم مراد اللَّه من كلامه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو، يتدبر حقائق عبارته، ويتبين غرائبه، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر

=كتاب: فضائل القرآن، باب: (١٩): ٥/ ١٧٩ وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١) أخرجه الآجري في أخلاق أهل القرآن: ١٠٢ - وأحمد في الزهد: ١٦٢ - وأبو نعيم في الحلية: ١/ ١٢٩ وسند الرواية ضعيف لانقطاعه.

قلب وهو لا يفهم ما يتلوه! وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه! ولهذا فعليه أن يلم بشيء من علوم القرآن كالمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن والأعاريب، وأن يكون مطلعاً على الحديث النبوي، وغير ذلك من العلوم التي تزيل الشك، وتساعد في فهم النص.

كما ينبغي له أن يعرف لشيوخه قدرهم، ويحفظ لهم مكانتهم، فيكون في غاية الأدب معهم، يقول فُضيل بن عياض[1]: كنا نأتي المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم - أي مع الشيوخ - فنجلس دونهم ونسترق السمع[2].

المسألة الرابعة: آداب القرآن وآداب تاليه:

هذا باب عظيم أفرده ثلة من أهل العلم بتآليف مستقلة، وخصص له آخرون حيزاً من تآليفهم، فأوردوا مجموعة من تلك الآثار، كما فعل القرطبي في مقدمته. **وآداب القرآن وآداب تاليه أربعة أقسام:**

قسم يتعلق بالاستعداد للتلاوة.

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، شيخ الإسلام، ثقه عالم، سمع الكثير وارتحل في طلب الحديث، أطال الذهبي في ترجمته وذكر أخباره، توفي (١٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٤٢١ - والمعارف لابن قتيبة: ٥١١.

(٢) ما سبق ذكره مما يلزم قارئ القرآن، مأخوذ من تفسير القرطبي بتصرف: ١/ ١٨ - ٢٢.

وقسم يتعلق بالتلاوة نفسها.

وثالث هي آداب عامة أثناء التلاوة.

ورابع يتعلق بالآداب مع المصحف.

أما القسم الأول، فمن ذلك أن لا يمسه إلا طاهراً، وأن يستاك فيطيب فاه، قال يزيد بن مالك: إن أفواهكم طُرُق للقرآن فطهروها ونظِّفوها ما استطعتم. وأن يستعد للقراءة فيلبس من أحسن ثيابه، وأن يختار لقراءته مكاناً طيباً فيتجنب القراءة في الأسواق ومواطن اللغط واللّهو ومجمع السفهاء، قال تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان: ٧٢] وأن يستقبل القبلة لقراءته، فقد كان أبو العالية[1] إذا قرأ اعتَمَّ وارتدى واستقبل القبلة[2]، ومن ذلك أيضاً أن يستعيذ باللّه عند ابتدائه من الشيطان الرجيم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٩]، ومنه أيضاً أن يختار لقراءته خلوة قدر طاقته حتى

---

(١) هو رُفَيْع بن مهران، يكنى أبا العالية الرياحي، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، توفي (٩٠هـ). انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٢/ ٥٤ - والتاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٣٢٦.

(٢) أخرج الطبراني عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: إن لكل شيء سيداً وإن سيد المجالس قبالة القبلة. المعجم الأوسط: (ح٢٣٥٧ - ٣/ ١٨٢).

لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه.

وأما القسم الثاني فهو ما يتعلق بالتلاوة نفسها، ومن أهم ذلك أن يجعل لنفسه ورداً يومياً، فلا يخلو يوماً من أيامه دون النظر في المصحف، وقد كان أبو موسى يقول: إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي[(١)]. ومن ذلك أن يقرأ البسملة إذا ابتدأ قراءته من أول السورة، أو من حيث بلغ، فإذا قرأ لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يستعمل في قراءته ذهنه وفهمه ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] حتى ينتفع بما يتلو، ومن الآداب أن يقف على آية الوعد فيطلب اللَّه من فضله ويسأله، وعلى آية الوعيد فيستجير باللّه منه، وعلى الأمثال فيمتثلها، وأن يؤدي حق التلاوة، فيخرج الحروف واضحة من مخارجها، وأن يختار القراءة الصحيحة ولا يجادل في غيرها فقد تكون هي الأخرى صحيحة، وأن لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها ويتنقّل بينها بل عليه أن يتم السورة كلها، كما يحسن للقارئ أن لا يحرم عينه من الأجر في النظر، فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ قوله: أعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا: يا رسول اللَّه، وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه[(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: (ح٢٥٧ - ٢/ ٤٨٢) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب عن أبي سعيد: (ح٢٥٤ - ٢/ ٤٧٨) وقال: إسناده ضعيف واللَّه أعلم - وأورده القرطبي في التذكار: ١٤ - والسيوطي في الجامع الضغير ورمز

ومن آداب التلاوة أن يتجنب القراءة منكوساً[1]. كما عليه أن يتجنب

لضعفه كما في الفيض القدير: ١/ ٥٦١ - وحكم الألباني بوضعه، انظر ضعيف الجامع الصغير: (ح١٠٤١ - ١/ ٢٩٩) - وقد اختلف العلماء في أيهما أفضل، القراءة في المصحف، أم القراءة عن ظهر قلب؟ فذهب النووي إلى أفضلية القراءة في المصحف لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر، وهو رأي الغزالي وجماعات من السلف، فقد ثبت أن الصحابة كانوا يداومون على النظر في المصاحف.

وذهب العز بن عبد السلام إلى أفضلية القراءة عن ظهر قلب، قال: إن المقصود من القراءة التدبر، والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحاً.

وجمع الحليمي بين القولين فرأى أن يقرأ مرة من حفظه وأخرى من المصحف.

والذي يترجح لي هو القول الثالث فيختار مرة القراءة من المصحف ليشترك النظر في العبادة وليكون أبعد عن الرياء وأمكن للخشوع، ومرة من حفظه للتدبر والمحافظة على المحفوظ خشية الإفلات، والله أعلم. انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: ٢/ ٢٣٣ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٦١ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ٧٨ - وفيض القدير للمناوي: ١/ ٥٦١ و٦/ ١٥٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٩٦ تحقيقي.

(١) أخرج عبد الرزاق والبيهقي وابن أبي شيبة والطبراني وأبو عبيد وابن أبي داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذاك منكوس القلب. المصنف لعبد الرزاق: (ح٧٩٤٧ - ٤/ ٣٢٣) - وشعب الإيمان للبيهقي: (ح٣٣٤ - ٢/ ٦٠٠) - والمصنف لابن أبي شيبة: ١٠/ ٥٦٤ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: (ح١٣١ - ٥٧) - والمصاحف لابن أبي داود: ١٥١ - وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٦٨: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وذكره النووي في التبيان: ٦٩ وقال: إسناده صحيح - وقال السيوطي في الإتقان: ١/ ٣٠٨: إسناده جيد.

وقد اختلف في صفة القراءة المنكوسة، فقيل هو أن يبدأ من آخر السورة حتى يقرأها إلى أولها. ورده أبو عبيد وقال: وهذا شيء ما أحسب أن أحداً يطيقه، ولا كان هذا في=

والقراءة بألحان الغناء كلحون أهل الفسوق، وترجيع النصارى، ونوح الرهبانية[١]، وأن لا يجهر على الآخرين في قراءته فيفسد عليه[٢] وأن يفتتحه

=زمن عبد الله، ولكن وجهه عندي أن يبدأ من آخر القرآن ثم يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكتاب، لأن السنة بخلاف هذا، وإنما جاءت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما.

قال: وإذا كرهنا هذا النكس فنحن للنكس من آخر السورة إلى أولها أشد كراهية إن كان ذلك يكون. غريب الحديث ٤/ ١٠٣ - وانظر النهاية في غريب الحديث (نكس) لابن الأثير: ٥/ ١١٥.

(١) عن حذيفة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قولبهم وقلوب من يعجبه شأنهم. أخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٤١ - ٣/ ١٠٧٨) - والمروزي في قيام الليل كما في المختصر: ١١٩ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح٢٣٢ - ٩٩) وابن الجوزي في العلل: ١/ ١١٨ وقال: هذا حديث لا يصح، وأبو محمد - من رجال السند - مجهول، وبقية - من رجال السند - يروي عن الضعفاء ويدلسهم.، وانظر التقريب لابن حجر: ١/ ١٠٥ - وقال الذهبي في الميزان: ١/ ٥٥٣: الخبر منكر.

وقد اختلف العلماء في التطريب في القراءة والترجيع فيها، فمنع من ذلك وأنكره مالك بن أنس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير والنخعي وغيرهم، وكرهه أحمد بن حنبل، وأجاز ذلك طائفة منهم أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه واختاره الطبري وابن العربي، وذهب القرطبي إلى ترجيح القول الأول، وقال: هو أصح.

وفصّل ابن القيم في ذلك، فقال: التطريب والتغني على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، فذلك جائز. =

كلما ختمه، فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ أنه كان إذا ختم يقرأ من أول السورة قدر خمس آيات، وقال في ذلك: عليك بالحالِّ المرتحل، قيل: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله كلما حلَّ ارتحل[1].

=والثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرين، فهي التي كرهها السلف وعابوها وذموها، ومنعوا القراءة بها. زاد المعاد: ١/ ٤٩٢ - وانظر في ذلك الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٧٠ تحقيقي. والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي: ١٤٤ - ١٥٩.

(٢) أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: اعتكف رسول اللَّه ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذي بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة. سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل: (ح١٣٣٢ - ٢/ ٣٨) - ووردت آثار أخرى تبين أن الجهر أفضل، واختلف العلماء في حكم الجهر بالقراءة، والإسرار بها، فالإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل، واختلف العلماء في حكم الجهر بالقراءة في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف، ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصلٍّ آخر، فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأنه يوقظ القلب، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، وفي الحديث القدسي: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه. ورجح النووي في نوافل الليل القراءة بين الجهر والإسرار. انظر المسألة بالتفصيل في: إحياء علوم الدين للغزالي: ١/ ٢٧٩ - والتبيان للنووي: ٩٠ - والمجموع شرح المهذب له: ٢/ ١٦٦ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٠٤ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٧٦ تحقيقي.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: (١٣): ٥/ ١٩٧ وقال:حديث حسن=

وأما **القسم الثالث** وهو آداب أثناء التلاوة نفسها، فمن ذلك أن يتمضمض إذا تنخع، فقد ورد عن ابن عباس أنه كان كلما تنخع مضمض. ومن ذلك أن يمسك عن القراءة إذا تثاءب، لكون التثاؤب من الشيطان، والقارئ إنما يناجي الرحمن، قال مجاهد: إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك، ومن الآداب إذا انتهى من التلاوة أن يصدِّق ربه، ويشهد بالبلاغ للرسول ﷺ، كأن يقول: صَدَقْتَ ربنا وبَلَّغَتْ رُسلُكَ، ومن الآداب أن يجمع أهله إذا أراد أن يختم وكان ذلك ديدن السلف كأنس بن مالك وغيره[1].

=غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي.، وذكر من طريق آخر عن زرارة بن أوفى وقال: هذا عندي أقوى. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٦٨ وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إلا أن الشيخين لم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صالح المري: متروك. وله شاهد عند الحاكم أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ١/ ٥٦٩، وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٦ - ١٥٩) - وابن الجزري في النشر: ٢/ ٤٤٦ وقال: رواه الترمذي مرسلاً وقال: إنه أصح. قال: وقطع بصحته أبو محمد المكي، وسكت عليه البيهقي في الشعب فلم يذكر فيه ضعفاً كعادته، وضعفه أبو شامة من قبل صالح المري. وهو في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠٧ تحقيقي.

(١) أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه: أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا. المعجم الكبير: (ح٦٧٤ ١/ ٢٤٢) قا ل الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٧٢: رجاله ثقات. - وأورده القرطبي في التذكار: ٩٦، والنووي في التبيان: ١٠٨ بسندين صحيحين. - وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠١ تحقيقي.

ومن **القسم الرابع** وهي آداب مع المصحف، فمن ذلك أن يُجلِّلَ كتابته فيكتبها بخط واضح، وإذا وضع المصحف أن لا يتركه منشوراً، وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب، علماً كان أو غير ذلك، وأن لا يتوسد ولا يعتمد عليه، ولا يُرمى به لصاحبه إذا أراد أن يناوله، وأن يضعه في حجره أو على شيء بين يديه، ولا يضعه على الأرض، ومن ذلك أن لا يمحوه ببصاق ونحوه، ولكن يغسله بالماء، ويتوقى النجاسات في الموضع، لكون الغسالة لها حرمة، ومن الآداب مع كلام اللَّه أن لا يكتب على الأرض خشية الاستهانة به.[1]

المسألة الخامسة: كيفية التلاوة لكتاب اللَّه:

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أن يتلوه مجوداً مرتلاً ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل: ٤] يقتدي في قراءته قراءة رسول اللَّه ﷺ، وقد كان سلف الأمة يسألون عن قراءته ﷺ، روى البخاري عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول

---

(١) ينظر في آداب التلاوة تفسير القرطبي: ١/ ٢٧ - ٣٠ - ونوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٣٥ - والتبيان للنووي: ٤٤ - والمنهاج للحليمي: ٢/ ٢٢٨ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٥٩ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٢٤ - ٣٥١ - ومفتاح السعادة لطاش كبري: ٢/ ٤٠٣ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٣/ ٨٣٣ - ٩٠٩ بتحقيقي، وفيه ذكر أدلة كثيرة من الآداب التي ذكرت.

اللَّه ﷺ فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا، إذا قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد بـ﴿الرَّحْمن﴾، ويمد بـ﴿الرَّحِيم﴾.[١]

المطلب الثاني: أن يخفض صوته ويخشى اللَّه في قراءته، وأن يتجنب التطريب والنبر والقراءة بالألحان[٢]، أورد القرطبي عن زياد النُميري أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له: اقرأ. فرفع صوته وطرَّبَ. وكان رفيع الصوت. فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء فقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون! وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه.[٣] وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى اللَّه تعالى[٤]. وقد كره رفع الصوت عند قراءة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: مد القراءة: ٦/ ١١٢.

(٢) انظر: الخلاف في مسألة القراءة بالألحان في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٦٧ بتحقيقي.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ١٠.

(٤) أورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٢٣ - ذكر السيوطي في الجامع الصغير رواية قريبة منها، وقال المناوي: أخرجه ابن ماجه عن جابر، وقال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف. وقد رواه البزار بسند - كما قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، فحذفه - أي السيوطي - واقتصاره على المعلول من التقصير. فيض القدير: ١/ ١٩٠ والحديث صححه الألباني انظر: ضعيف الجامع الصغير: (ح١٣٧٤ - ٢/ ٢٦) وصحيح الجامع الصغير: (ح١٩٢ - ١/ ١١٥).

القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم وابن سيرين والنَّخَعي وغيرهم. كما كره مالك بن أنس وأحمد بن حنبل رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه. وأجازت طائفة من الأئمة التطريب كأبي حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك وغيرهم، واختاره الطبري وابن العربي، لكونه أوقع في النفوس، وأسمع في القلوب، قال ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم.(١) وقال: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن.(٢)

ورجح القرطبي القول بكراهة التطريب، وقال: إن الحديث من باب المقلوب، أي: زينوا أصواتكم بالقرآن. وليس منا من لم يحسِّن صوته بالقرآن. ونسب إلى الخطابي قوله: وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث. ثم أورد التأويلات الواردة في معنى التغني بالقرآن، وبيَّن أقوال الأئمة في بيان ذلك.(٣)

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان: ٢/ ٦٤ - والبخاري تعليقاً في صحيحه: ٨/ ٢١٤ - وفي خلق أفعال العباد: ٨٣ - وأحمد في المسند: ٤/ ٢٨٣ - والنسائي في فضائل القرآن: ٩٤ - والدارمي في السنن: ٢/ ٣٤٠ - والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٧١ - والبيهقي في الشعب: (ح١٧٨ - ١/ ٣٦٢) وانظر فتح الباري لابن حجر: ١٣/ ٥١٨.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه عن سعد بن أبي وقاص: ٢/ ٣٣٨ - وابن أبي شيبة في المصنف: ٢/ ٥٢٢ - والطيالسي في المسند: ٢٨ - والبيهقي في الشعب مطولاً: (ح١١٥ - ١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ١٠ - ١٣.

المطلب الثالث: أن يتجنب التقعير في قراءته كفعل المتنطعين في إبراز الكلام من أفواههم تكلفاً.

المسألة السادسة: ذكر شيء من خواص القرآن[١]:

ذكر القرطبي أن من كتب القرآن وشربه وسمَّى اللَّه على كل نَفَس، وعظَّمَ النية، فإن اللَّه يؤتيه على قدر نيته[٢]. وعن أبي جعفر محمد بن علي: من وجد في نفسه قساوة فليكتب ﴿يس﴾ في جام بزعفران ثم يشربه.[٣]

---

(١) أفرد السيوطي لذكر خواص القرآن والاستشفاء بالآيات نوعاً خاصاً في الإتقان: ٢/ ١١٥٣، واقتصر فيه على ذكر ما ثبت عن رسول اللَّه ﷺ، أو عن أحد من صحابته أو ما ورد عن السلف في هذا الباب، وقال في أوله: أفرده بالتصنيف جماعة منهم التميمي وحجة الإسلام الغزالي، ومن المتأخرين اليافعي، وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين.، كما أفرد له ابن عقيلة المكي - غفر اللَّه له - في الزيادة والإحسان: ٣/ ٩٤٧ نوعاً خاصاً وهو النوع الخامس والأربعون، سرد فيه غالب ما ذكره اليافعي والتميمي، مما يحظر ذكره حتى لو ثبت في تجارب الصالحين، فإحداث الشقاق، وزرع الفتن بين الناس، وما هو من هذا القبيل، واستخدام آيات اللَّه وكلامه في ذلك غير جائز شرعاً، فكيف يجعل القرآن لمثل هذه الأمور، ويسخر كلام الحكيم لمثل هذه البطالات، ولولا ما أجده من الحظر في ذكر شيء من تلك الأشياء لاستعرضت هنا أموراً ذكروها تقشعر منها الأبدان، ﴿تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً﴾.

(٢) تفسير القرطبي: ١/ ٣١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٤٢٨ وقال: هي حكاية ينتفع بها. وسكت عنه الذهبي. وهو جزء من حديث طويل أخرجه البيهقي في الشعب وقال: كذا روي في هذه=

وروى ليث عن مجاهد قال: لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض.

قال القرطبي: كان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته[1] - أي غسالة القرآن -.

=الحكاية، وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهية معنى إلا أن في صحته نظر، والله أعلم. شعب الإيمان (ح٤٧٦ - ٢/ ٨٣٨) وهو في نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٣٥.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣١ - وانظر التبيان للنووي: ١١٣.

وقد اختلف العلماء في كتابة القرآن ثم غسله ويسقى المريض والمبتلى منه، فذهب الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي إلى جوازه وقالوا: لا بأس به. وكرهه النخعي، وقال القاضي حسين والبغوي وغيرهما من الشافعية إلى جواز كتابة القرآن على الحلوى وغيرها من الأطعمة ثم إطعامها للمريض ونحوه. انظر التبيان للنووي: ١١٣.

الموضوع السابع

المكي والمدني

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره القرطبي[١] وابن جزي[٢]، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: في تعريف المكي والمدني:

عرَّف ابن جزي السور المكية بقوله: هي التي نزلت بمكة، يُعدُّ منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

وعرَّف السور المدنية بقوله: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويُعَدُّ منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.[٣]

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٢١ و١/ ٦١.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

قلت: اعتبر ابن جزي في تعريفه التعريف المكاني والزماني، وهو مشكل، إذ الصحيح المشهور اعتبار التعريف الزمني، فيقال: المكي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل بغير المدينة. وانظر في ذلك: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٨٧ - ولطائف الإشارات للقسطلاني: ١/ ٢٦ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٨٨.

المسألة الثانية: في سمات يُعرف بها المكي والمدني:

ذكر ابن جزي عدة سمات موضوعية تُعرَفُ بها السور المكية والمدينة:

أولاً: سمات السور المكية:

١- إثبات العقائد.

٢- الرد على المشركين.

٣- الاهتمام بذكر قصص الأنبياء السابقين.

ثانياً: سمات السور المدينة:

١- بيان الأحكام التشريعية.

٢- الرد على اليهود والنصارى.

٣- كشف المنافقين وذكرهم.

٤- بيان الفتاوى الشرعية في كثير من المسائل.

٥- ذكر غزوات النبي ﷺ.

قال: وحيث ما ورد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهو مدني، وأما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني.[1]

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢٢٥.

المسألة الثالثة: في أقسام سور القرآن باعتبار المكي والمدني:

تنقسم سور القرآن الكريم باعتبار المكي والمدني ثلاثة أقسام:

١- قسم مدني، وهي سبع وعشرون سورة على ما ذكره القرطبي نقلاً عن ابن الأنباري[1]، اتفق منها على اثنتان وعشرون سورة كما صرح

=ذكر أهل العلم للمكي والمدني سمات موضوعية وأسلوبية أخرى، فإضافة إلى ما ذكره المصنف ذكروا من السمات الموضوعية للقرآن المكي: إرساء دعائم الإيمان باللّه ووحدانيته بالدلائل العقلية، من خلال لفت الأنظار إلى المخلوقات المحيطة. بناء الشخصية الإسلامية المتميزة، والحض على التحلي بالخصال الحميدة. خلوه من أحكام المعاملات.

وذكروا من أساليب القرآن المكي: قصر الآيات والسور. قوة العبارة ورشاقة الألفاظ. وضرب الأمثال ووفرة التشخيص. صيغ الإنشاء من أمر ونهي واستفهام وتمن. وغير ذلك.

كما ذكروا من سمات القرآن المدني: دعوته أهل الكتاب إلى الإسلام، والرد التفصيلي على انحرافاتهم وتحريف ما في كتبهم. أما من ناحية الأسلوب فقد امتاز القرآن المدني بطول أكثر السور والآيات، والأسلوب الهادىء والعبارات اللينة تمشياً مع طبيعة المرحلة. إضافة إلى طول الفاصلة. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٣٨ حاشية رقم (٢) - ودراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر الألمعي: ٥٣ - والقرآن الكريم والدراسات الأدبية الدكتور العتر: ٦٨.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وهو ما رواه ابن سعد عن ابن عباس عن أُبي بن كعب - رضي اللّه عنهم - وهي عند عبد الواحد بن شيطا: تسع وعشرون سورة. وبمثله قال الزركشي في البرهان. وقال ابن عقيلة: هو ما استقرت عليه الروايات. انظر:=

به ابن جزي[١].

٢- قسم مختلف فيه، هل هي مكية أم مدينة، فأفاد ابن جزي أنها ثلاث عشرة سورة.[٢] ولم يذكر القرطبي الاختلاف في شيء.

٣- وقسم مكي، وهي سائر السور المتبقية وهي عند القرطبي سبع وثمانون سورة[٣]، وعند ابن جزي تسع وسبعون سورة[٤].

أما المدني المتفق عليه فهي: ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ و﴿النِّسَاء﴾ و﴿المائدة﴾ و﴿الأنفال﴾ و﴿بَرَاءةٌ﴾ و﴿النُّور﴾ و﴿الأحْزَابُ﴾ و﴿الْقِتَالُ﴾

=طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٧١ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٧٧ - والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٩٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٢٦٤ تحقيقي.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وصرح ابن الحصار أن المتفق عليه عشرون سورة. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وهي عند ابن الحصار اثنتا عشرة سورة. وأفاد السيوطي أن المختلف فيه إحدى وثلاثون سورة. الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

وهي عند ابن شيطا خمس وثمانون سورة، وعند أبي الحسن بن الحصار اثنان وثمانون، قال ابن عقيلة: وهو ما استقرت عليه الروايات. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٣٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٤ والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٢٦٤ تحقيقي.

و﴿الْفَتْحُ﴾ و﴿الحجرات﴾ و﴿الْحَدِيد﴾ و﴿المجادلة﴾ و﴿الحشر﴾ و﴿الممتحنة﴾ و﴿الصف﴾ و﴿الجمعة﴾ و﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ و﴿التغابن﴾ و﴿الطَّلاقَ﴾ و﴿التحريم﴾ و﴿النَّصْرُ﴾.

وأما المختلف فيه فهي: ﴿أم القرآن﴾ و﴿الرعد﴾ و﴿النحل﴾ و﴿الْحَجَّ﴾ و﴿الرَّحْمن﴾ و﴿الإنسَانُ﴾ و﴿المطففون﴾ و﴿القدر﴾ و﴿البينة﴾ و﴿الزلزلة﴾ و﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿الإخلاص﴾ و﴿الفلق﴾ و﴿النَّاس﴾.

وأما المكي المتفق عليه فهي سائر السور المتبقية.[1]

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٨.

قال ابن عقيلة: وإذا تأملت حقيقة هذا الخلاف وجدته في أكثر السور لفظياً، لأن من يقول: السورة مكية - مثلاً - فإما أن يكون لكونه علم أن بعض آيات منها نزلت بمكة فيحكم على السورة أنها مكية، وكذا من يقول: إنها مدنية، أو يكون يرى أن المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة أو بعدها، والمخالف لا يرى المكي إلا ما نزل قبل الهجرة، فيرجع الخلاف في الغالب إلى اللفظي. الزيادة والإحسان: ١/ ٢٧٧ تحقيقي. قلت: بل الخلاف راجع إلى اختلاف في المصطلح، بالاعتبار الزماني والمكاني.

ويرجع الباقلاني في الانتصار الخلاف إلى كون رسول الله ﷺ لم يبين لصحابته المكي من المدني في قول أو نص، وإن كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على معرفة كل ما يتعلق بالتنزيل، والإحاطة به، لما للقرآن من مكانة في نفوسهم.

قال الباقلاني: وإنما عدل رسول الله ﷺ عن ذلك لأنه مما لم يؤمر به، ولم يجعل الله تعالى علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم من معرفة=

قال ابن جزي: وقد وقعت آيات مدينة في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره.[١]

المسألة الرابعة: في بيان أهمية معرفة المكي والمدني:

أشار القرطبي إلى أهمية معرفة المكي والمدني بالنسبة للمفسر الذي يقدم على فهم كتاب اللَّه وتفسيره، فقال:

وينبغي أن يعرف المكي من المدني ليفرِّق بذلك بين ما خاطب اللَّه به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض اللَّه في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره.

ثم ذكر أن المدني يمكن أن يكون ناسخاً للمكي، ولا يمكن أن يكون المكي ناسخاً للمدني، لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول.[٢]

=الناسخ والمنسوخ، ليعرف الحكم الذي ضمنها... إلى أن قال: وإن كان ذلك كذلك ساغ أن يختلفوا في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد، وإن كان الاختلاف زائلاً عنهم في جله وكبره. انظر: الانتصار لصحة نقل القرآن للباقلاني: (و١٤٢) مخطوط. وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٧٧ حاشية (٤) تحقيقي.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢١ - وانظر البرهان للزركشي: ١/ ١٨٧ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٦٢ تحقيقي.

وعلة تقديم بعض السور المدنية على المكية هو أن اللّه تعالى خاطب العرب بلغتهم وعلى ما تعرف من أفانين خطابها ومحاوراتها، ولمّا كان من فن كلامها تقديم المؤخر وتأخير المقدّم، خوطبوا بهذا المعنى في كتاب اللّه تعالى، فأُقيمت عليهم الحجة بذلك.[1] واللّه أعلم.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٢ - ويبقى ما ذكره المصنف احتمال وارد، ولم أقف على قول لأحد من العلماء في ذلك. فاللّه أعلم بما قال.

الموضوع الثامن

التفسير والتأويل

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره البغوي[١]، وابن الجوزي[٢]، والخازن[٣]، وابن جزي[٤]، وأبو حيان[٥].

والتفسير قيل مأخوذ من (التَفْسِرَة)، وهي الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، قال البغوي: فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها.[٦]

قال أبو حيان: والتفسير في اللغة: الاستبانة والكشف، قال ابن دريد:[٧] ومنه يقال للماء الذي ينظر فيه الطبيب (تَفْسِرَة)[٨]، وكأنه تسمية

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٤٦.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٤.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ١١.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٢٦.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤.

(٧) انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ٣٣٤ط المثنى بغداد - وفي اللسان: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسُرُه- بالكسر والضم - فسراً، وفسَّره: أبانه، والتفسير مثله. قال: والفسر كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. اللسان (فسر): ٥/ ٥٥٥.

(٨) المراد بالماء هنا: بول الإنسان، قال الخليل: التفسيرة اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء،=

بالمصدر؛ لأن مصدر (فَعَّلَ) جاء أيضاً على (تَفْعِلَة) نحو: (جَرَّبَ تَجْرِبَة) و(كَرَّمَ تَكْرِمَة)، وإن كان القياس في الصحيح من (فعَّل) التفعيل، كقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال: وينطلق أيضاً التفسير على التعرية للإنطلاق، قال ثعلب: تقول: (فَسَّرْت الفرس: عَرَّيْتُه لينطلق في حصره[١]. وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري.[٢]

وأما في الاصطلاح، فقد صرح أبو حيان المتوفى (٧٤٥هـ) بأنه لم يقف لأحد من علماء التفسير على رسم - أي تعريف - له.[٣]

وبالرجوع إلى المقدمات وجدت البغوي يعرف التفسير بقوله: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، ويكون بالسماع عن طريق النقل.[٤] ووجدت ابن جزي يعرفه فيقول: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه. فيرجح أن التفسير هو الشرح[٥]، أي: شرح المفردات والألفاظ الغريبة.[٦]

=يستدل به على مرض البدن. العين: ٧/ ٢٤٨.

(١) الحصر: شد الفرس بالحصار، وهو ما يوضع على ظهره. انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ١٣٤.

(٢) (٣) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٦.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

(٦) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤.

والتعريف الذي وضعه أبو حيان أشمل وأكمل حين قال - رحمه اللَّه-: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك.

ثم شرح مفردات التعريف فقال:

فقولنا: (علم) هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هذا هو علم القراءات.

وقولنا: (ومدلولاتها) أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

(ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز.

وقولنا: (وتتمات لذلك) هو معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول،

وقصة توضيح بعض ما أنبهم في القرآن ونحو ذلك.[١]

وأما التأويل، فمشتق من (الأوَل) وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: أوَّلته فآل: أي صرفته فانصرف.[٢] فهو رد الشيء إلى الغاية.

وفي الاصطلاح: التأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٦ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩١ط البغا.

قلت: ذكر أهل العلم للتفسير عدة تعريفات، فعرفه الزركشي في البرهان: ١/ ١٣ بقوله: التفسير علم يعرف به فهم كتاب اللّه المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. - وعرفه الكافيجي في التيسير في قواعد علم التفسير: ١٢٤ تعريفاً مختصراً، فقال: هو كشف معاني القرآن، وبيان المراد. وهو تعريف جيد غير أن ما ذكره لاحقاً أدق وأجدى، قال: هو علم يبحث فيه عن أحوال كلام اللّه المجيد من حيث أنه يدل على المراد بقدر الطاقة البشرية التيسر: ١٥٠. قال الزرقاني: ومن السهل رجوعه إلى التعريف الأول - وهو تعريف أبي حيان السابق - لأن ما ذكر هناك بالتفصيل يعتبر بياناً لمراد اللّه من كلامه بقدر الطاقة البشرية. مناهل العرفان: ٢/ ٣.

وعرفه شيخنا مناع القطان - حفظه اللّه -بقوله: التفسير بيان كلام اللّه، المتعبد بتلاوته، المنزل على محمد ﷺ. انظر: مذكرة في علوم القرآن مقررة على السنة المنهجية في الكلية له: ص٣٤.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - وابن الجوزي: ١/ ٤ - والخازن: ١/ ١٤ - قال في اللسان ١١/ ٣٢: الأوَل: الرجوع، آل الشيء يؤول أوَلاً ومآلاً: رجع، وأوّل الكلام تأوله: دبّره وقدّره، وأوّله وتأوّله: فسّره.

إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.[١]

وقيل: التأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية.[٢]

الفرق بين التفسير والتأويل: اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد، أم يختلفان؟.

فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى واحد، قال ابن الجوزي:

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤ - وانظر: الخازن: ١/ ٦ - وهو في اللسان: ١١/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤.

وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية أن للتأويل ثلاثة معان:

أحدها: التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين - من أهل الكلام - هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، بدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء.

الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق الظاهر أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح المفسرين وغيرهم.

الثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح... هو الحقائق الموجودة أنفسها لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان. انظر: مجموع الفتاوى: ٥/ ٣٥.

وهو قول جمهور المفسرين المتقدمين.[١]

وذهب قوم إلى اختلافهما:

فعن الخازن: أن التفسير يتوقف على النقل المسموع، وهو ظاهر قول البغوي، والتأويل: يتوقف على الفهم الصحيح.[٢]

وعن ابن جزي أن للعلماء في الفرق بين التفسير والتأويل ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعاني[٣].

الثالث: وهو الصواب: أن التفسير هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤ - وتفسير البغوي: ١/ ٤٦.

(٣) وهو رأي الراغب، انظر: مفرداته: ٣٨٠.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

والذي يترجح عندي أن التفسير والتأويل بمعنى واحد في اصطلاح المفسرين، =

=قال تعالى:﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف: ٥٣] أي ينتظرون إلا بيانه الـذي هـو المراد منه.= وقد دعا رسول اللّه ﷺ لابن عباس فقـال: اللّهـم فَقِّهْـهُ في الديـن وعلّمـه التأويل. وكان مجاهد يقول: العلماء يعلمون تأويله، أي: تفسيره. قال ابن عاشور: اللغـة والآثار تشهد له. وهو القول الذي ذُكِرَ عن أهل العربية، والذي قال به جمهور المفسـرين المتقدمين، فالقائلون به هم من فرسان اللغة وأسـاطينها، كثعلـب وابـن الأعرابـي وأبـو عبيدة وابن جرير والزمخشري، وهو ظاهر كلام الراغب، فهم الأعلم بلغة العرب. ثم إن العناوين التي أطلقها المتقدمون على تفاسيرهم توحي بأنهم لم يميزوا بين ذلك، فقد عنون ابن جرير تفسيره بـ(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) والزمخشري أطلق علـى تفسـيره (الكشاف عـن حقـائق التـنزيل وعيـون الأقـاويل ووجـوه التـأويل)، وكـذا البيضـاوي وغيرهم. ولا شك أنهم لم يقصدوا من ذلك التـأويل فقـط، بـل إن كتبهـم هـي تفاسـير للتنزيل الحكيم.

وقد جمع الشيخ حامد العمادي مفتي دمشق رسالة لطيفة في الفرق بين التفسير والتـأويل سماها (رسالة التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل) سنة ست وثلاثين ومائة وألف، ذكر فيها أربعة عشر قولاً في الفرق. وقد علمت أن فضيلة الدكتـور فهـد الرومـي يقـوم بتحقيقها، وفقه اللّه في ذلك.

وفي معنى التفسير والتأويل يراجع: التيسير في قواعد علـم التفسـير للكـافيجي: ١٢٣ - والإتقان في علـوم القـرآن للسـيوطي: ٢/ ١١٨٩ - والتحريـر والتنويـر لابـن عاشـور: ١/ ١٠ - ١٧ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٤ - وأصول التفسـير وقواعـده للعـك: ٥٢ - ومدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفارق حمـادة: ٢١٢ - وعلـوم القـرآن لعدنـان زرزور: ٤٠٣ وغيرهم.

الموضوع التاسع

بيان شرف التفسير والحاجة إليه

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١]، وأبو الليث السمرقندي[٢]، والواحدي[٣]، وابن عطية[٤]، وابن الجوزي[٥]، والقرطبي[٦]، وابن جزي[٧]، وأبو حيان[٨]، وابن كثير[٩].

لقد أجمع المفسرون على أهمية علم التفسير وعظيم شرفه والحاجة إليه، وأنه من أشرف أنواع العلوم وأجلها، وأنه إنما حاز هذا الشرف لأمور منها:

١) أن شرف العلم متعلق بشرف المعلوم، والمعلوم هنا كتاب اللَّه الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فلما كان كلام اللَّه أشرف المعلومات، كان العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه أشرف العلوم.

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٦ و١/ ٨٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٠١.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٤٥.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٢٧ و١/ ٨.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ٢٦.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ٩ و١/ ٢٥.

(٩) انظر: تفسيره: ١/ ١٢.

٢) أنه من أعظم العلوم تقرباً إلى اللَّه، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختِلُ[١] حاملُه من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً.[٢]

يقول ابن جرير: اعملوا عباد اللَّه، رحمكم اللَّه، أن أحق ما صُرِفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان في العلم به رضى، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه كتابُ اللَّه الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرية فيه، الفائز بجزيل الذخر، وسنَّى الأجر تاليه.[٣]

٣) أنه العلم الذي جُعل للشرع قواماً، فهو المقصود بذاته، وسائر العلوم والمعارف إنما استعملت له خُداماً، فهي له كالأدوات، منه تؤخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشِئُها، فما وافقه منها نَصع، وما خالفه رُفِضَ ودُفِع، فهو عنصرها النمير، وقمرها المنير، به تعرف أحكام الأنام، وبيان الحلال والحرام، والمواعظ النافعة، والحجج البالغة.

أخرج الطبري وأبو الليث السمرقندي بسندهما في تفسيرهما عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أنه قال في خطبته: يا أيها الناس، قد

---

(١) الختل: هو الخدع. معجم مقاييس اللغة (ختل): ٢/ ٢٤٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧.

بيَّن اللَّه لكم في محكم كتابه ما أحل لكم، وما حرم عليكم، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعملوا بمحكمه، واعتبروا بأمثاله[١].

قال السمرقندي: فلما أمر النبي ﷺ بأن يحل حلاله ويحرم حرامه، ثم لا يمكن أن يحل حلاله، ويحرم حرامه إلا بعدما يعلم تفسيره، ولأن اللَّه تعالى أنزل القرآن للناس، وجعله حجة على جميع الخلق بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فلما كان القرآن حجة على العرب والعجم، ثم لا يكون حجة عليهم إلا بعدما يعلم تفسيره فدل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله واجب.[٢]

وهو واجب على العلماء خاصة، الذين اجتباهم اللَّه واصطفاهم، والذين هم ورثة الأنبياء[٣] وخلفاؤهم، وسادة المسلمين وعرفاؤهم، والدعاة إلى المحجة المثلى ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال أبو العالية: الحكمة: فهم القرآن.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٨ - تفسير السمرقندي: ١/ ٢٠٦ - قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢٦: قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود، ولم يلق ابن مسعود.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي: ١/ ٢٠٧.

(٣) الحديث أخرجه الواحدي بسنده عن البراء بن عازب. تفسير الواحدي: ١/ ٤٥ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: العلم قبل العمل: ١/ ٢٣.

وقال قتادة: الحكمة، القرآن والفقه فيه.

وقال غيره: الحكمة تفسير القرآن.(١)

قال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون من تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف تفسيره كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب.(٢)

ووصف علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - جابر بن عبد اللَّه بالعلم، فقال رجل: جعلتُ فداءك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥](٣).

ولهذه المزية ولغيرها حرص أصحاب رسول اللَّه ﷺ على التفقه في الدين، وتعلم التفسير، روى الطبري بسنده عن ابن مسعود أنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ والقول الأخير هو لابن عباس. انظر: الإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - وابن الجوزي: ١/ ٤ - والقرطبي: ١/ ٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - والقرطبي: ١/ ٢٦ - وأبي حيان: ١/ ٢٥.

والعمل بهن.[١]

ورحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي كان يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها.[٢]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٨٠ قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع المعنى. - وانظر: تفسير السمرقندي عن عبد الرحمن السلمي بنحوه: ١/ ٢٠٥ - وابن الجوزي: ١/ ٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - والقرطبي: ١/ ٢٦ - وأبا حيان: ١/ ٢٥.

وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم، وأمروا بتدبر المنزل عليهم، للعمل بما فيه، فكانوا يفهمونه وقد يعجزون عن فهم نصوص منه فيسألون رسول الله ﷺ عن ذلك فيبين لهم بمقتضى أمر الله تعالى، وكان من أهم وآكد الحاجات للمسلمين فهم كلام الله تعالى، للتذكير والاعتبار، ولمعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فكان العلم بتفسير كتاب الله واجباً، كوجوب سائر العلوم الإسلامية، وكان فرض كفاية. ومن هذا الباب انطلق المسلمون لتحصيل المراتب العليا في فهم نصوص الشرع ومخاطباته.

وقد لقي هذا العلم العناية لشرف المعلوم أولاً - كما سبق بيانه - ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها.

يقول الأصفهاني: صناعة التفسير حازت الشرف من ثلاث جهات:

- من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام الله وهو ينبوع كل حكمة.

- ومن جهة الغرض: فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.

- ومن جهة شدة الحاجة: فكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله. =

الموضوع العاشر

أوجه التفسير وطرقه وأنواعه

يعد هذا الموضوع من أكثر الموضوعات التي اهتم بها المفسرون، وتناولوها في مقدماتهم، فقد بحثه جميع[1] من شملتهم هذه الدراسة عدا ابن

=انظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥١ و١٥٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٥ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٩.

وقد لقي هذا العلم العناية لشرف المعلوم أولاً - كما سبق بيانه - ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها.

يقول الأصفهاني: صناعة التفسير حازت الشرف من ثلاث جهات: -

- من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام الله وهو ينبوع كل حكمة.

- ومن جهة الغرض: فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.

- ومن جهة شدة الحاجة: فكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله.

انظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥١ و١٥٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٥ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٩.

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق: ١/ ٥٩ - والطبري: ١/ ٧٣ و٧٧ و٨٠ و٨٢ و٨٤ و٩٢ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والماوردي: ١/ ٣٣ و٣٦ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وابن عطية: ١/ ٢٨ - والقرطبي: ١/ ٣١ و٣٣ و٣٧ - والخازن: ١/ ٦ - وابن جزي: ١/ ١٠ و١٣ و١٦ و٢١ - وأبا حيان: ١/ ١٠ و١٣ و١٧ و١٩ و٢٥ - وابن كثير: ١/ ١٢ و١٨.

الجوزي، وقد تفاوتت اهتماماتهم بذكر تفاصيله، فكانوا بين مقتصد مقتصر على الرواية، ومسهب تناول أكثر من جزئية، وفي هذا الموضوع عدة مسائل:

المسألة الأولى: أوجه التفسير:

ندب اللَّه سبحانه عباده إلى تدبُّر كلامه، واستخراج المعاني من فحوى ألفاظه وشواهد خطابه، وبيَّن أن من كلامه ما لا يعلم تأويله إلا هو، حيث استأثر بعلم ذلك كالخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا ببيان رسوله ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، ومن هذا الوجه تأويل وجوه أمره، وصنوف نهيه، ومبالغ فرائضه، وغير ذلك من أحكام آيه التي لا يوصل إليها إلا ببيانه ﷺ له، إما بنص منه ﷺ عليه، أو بدلالة قد نصبها أمَّته على تأويله.

وأن منه ما يعلم تأويله العلماء العالمون باللسان الذي نزل به القرآن

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].(١)

وقد ورد الأثر في ذلك، فقد روى عبد الرزاق وابن جرير بسندهما عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أنه قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يُعْذَر أحد بجهالته، مقول من الحلال والحرام، وتفسير لا يعلم تأويله إلا اللّه، من ادَّعى علمه فهو كاذب.(٢)

ورواه الطبري بلفظ آخر عن ابن عباس فقال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعْذَر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا اللّه.(٣)

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٩ - وابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٥ وقال: في إسناده نظر. وأورده ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٨ وقال: والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب؛ فإنه متروك الحديث؛ لكن قد يكون إنما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٥ - وأورده الماوردي: ١/ ٣٦ - وابن كثير: ١/ ١٨.

فالوجه الذي تعرفه العرب بكلامها: هي حقائق اللغة وموضوع كلامهم.

والذي لا يعذر أحد بجهالته: هو ما يلزم كافَّةَ المسلمين في القرآن من الشرائع، وجملة دلائل التوحيد.

وأما الذي يعلمه العلماء: فهو وجوه تأويل المتشابه وفروع الأحكام.

وأما الذي لا يعلمه إلا اللَّه: فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة.[١]

ولم يعتبر الطبري الوجه الثاني - مالا يعذر أحد بجهالته - وجهاً، بل قال: إنه معنى غيرُ الإبانة عن وجُوه مَطالب تأويله، فهو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به.[٢]

وقد صحح الماوردي تقسيم ابن عباس - رضي اللَّه عنهما العاشرة غير أنه رأى أن ما لا يعذر أحد بجهالته، داخل في جملة ما يعلمه العلماء، وإنما يختلف القسمان في فرض العلم به، فما لا يعذر أحد بجهله يكون فرض العين به على الأعيان، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٥.

على الكفاية.[١] وعليه صار التقسيم إلى ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ما اختص اللَّه تعالى بعلمه: وهذا لا يؤخذ إلا عن توقيف من أحد ثلاثة أوجه:

- إما من نصٍّ في سياق التنزيل.

- وإما عن بيان من جهة الرسول ﷺ.

- وإما عن إجماع الأمة على ما اتفقوا عليه من تأويل.

قال الماوردي: فإن لم يرد فيه توقيف علمنا أن اللَّه تعالى أراد لمصلحة استأثر بها، ألا يطْلِعَ عباده على غيبه.

الوجه الثاني: ما يرجع فيه إلى لسان العرب: وذلك شيئان:

الأول: اللغة، يكون العمل به في حق المفسر دون القارئ، فإن كان الأمر لا يوجب العمل، جاز الاستشهاد بخبر الواحد وقليل الشعر، وإن كان الأمر يوجب العمل لم يجز ذلك حتى يكون نقله مستفيضاً، وشواهد الشعر فيه متناصرة.

الثاني: الإعراب، فإن كان اختلافه موجباً لاختلاف حكمه، وتغيير تأويله لزم العمل به في حق المفسر وحق القارئ، ليتوصل المفسر إلى معرفة

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦.

حكمه، ويَسْلَمَ القارئ من لَحْنِهِ.

وإن كان اختلاف إعرابه لا يوجب اختلاف حكمه، ولا يقتضي تغيير تأويله، كان العلم بإعرابه لازماً في حق القارئ ليسْلَم من اللَّحن في تلاوته، ولم يلزم في حق المفسر لوصوله - مع الجهل بإعرابه - إلى معرفة حكمه.

الوجه الثالث: ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء: وهو تأويل المتشابه واستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم وغير ذلك.[1]

المسألة الثانية: طرق التفسير:

للتفسير طريقان الأول: التفسير بالأثر (الرواية).

والثاني: التفسير بالرأي (الدراية).

أولاً: التفسير بالأثر (الرواية):

المقصود من التفسير بالأثر، تفسير القرآن بالقرآن، وبما نُقل عن الرسول ﷺ، أي بالسُّنة، وبأقوال الصحابة وما ثبت عنهم، وبأقوال التابعين.

وأصح هذه الطرق تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦ - ٣٨ - وبنحوه قال الطبري من قبله، انظر في تفسيره: ١/ ٩٢ - وانظر البرهان للزركشي: ٢/ ١٦٤.

فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه بسط في آخر.

فإن لم يجد فالسُّنة، فهي شارحة للقرآن وموضحة له، وقد جعل اللَّه تعالى إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه مجملاً كالصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وتفسير ما كان منه مشكلاً، وتحقيق ما كان منه محتملاً، كما جعل له زيادة على حكم الكتاب، كتحريم المرأة على خالتها وعمتها، وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وغير ذلك، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص بهن ومنزلة التفويض إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤][1] وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلا تَكُن لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥] قال الإمام الشافعي - رحمه اللَّه -: كل ما حكم به رسول اللَّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.[2] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

روى أبو داود عن المقدام بن معدي كرب[3] عن رسول اللَّه ﷺ أنه

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٣) هو المِقْدامُ بن مَعْدي كرب بن عمرو بن يزيد، صاحب رسول اللَّه ﷺ روى عدة أحاديث ، توفي بحمص سنة (٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٤٢٧ -=

قال: ألا إني أُتيت القرآن ومثله معه.[١] قال ابن كثير: يعني السنة، فالسنة تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.[٢]

قال الخطابي: قوله (ومثله معه) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن معناه أنه أُوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أُعطي من الظاهر المتلو.

والثاني: أنه أُوتي الكتاب وحياً يُتلى، وأُعطي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن.[٣]

فإن لم يجد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، وفمهمهم لكتاب اللَّه، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلن الصحيح، والعمل الصالح.

قال رسول اللَّه ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب

=والبداية والنهاية لابن كثير: ٩/ ٧٣.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤/ ٢٠٠ - وأحمد في المسند: ٤/ ١٣١ - وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٣.

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود: ٥/ ١٠ط دار الحديث، تحقيق الدعاس والسيد - وتفسير القرطبي: ١/ ٣٨.

اللَّه. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول اللَّه. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. قال الراوي: فضرب رسول اللَّه ﷺ في صدره وقال: الحمد للّه الذي وفق رسولَ رسولِ اللَّه لما يرضي رسول اللَّه.(١)

وقد يذكر الصحابة بعض الحكايات التي ينقلونها عن أهل الكتاب، وقد أباح رسول اللَّه ﷺ ذلك حيث قال: بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.(٢)

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٣ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٤ وقال: وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد. وأخرجه: الترمذي في سننه، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي: ٣/ ٦١٦ وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. - وأبو داود في سننه، كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء: ٣/ ٣٠٣ - وأحمد في المسند: ٥/ ٢٣٠ - قال ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: ٧٧٣ ط٢ مطبعة الإمام بالقاهرة: وأما خبر معاذ فإنه لا يحل الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنه لم يرو قط إلا من طريق الحارث بن عمرو، وهو مجهول لا يدري أحد من هو.

قال الأستاذ عدنان زرزور في تحقيقه لمقدمة أصول التفسير لابن تيمية: ٩٥: القضية التي ساق لها ابن تيمية هذا الحديث وهي طلب تفسير القرآن من السنة إن لم يوجد في القرآن نفسه، ليست موضع خلاف بإطلاق؛ صح هذا الأثر أم لم يصح، وإن كان حكم ابن تيمية على إسناده بأنه جيد يحتاج تجاوزه إلى مزيد بحث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل: ٤/ ١٤٥ - وأحمد في المسند: ٣/ ١٥٩ و٢٠٢ - والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل: ٥/ ٤٠ وقال: حسن صحيح - وأورده ابن تيمية في=

وهي إنما تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذاك مردود.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

فإن لم يجد بغيته في أقوال الصحابة، رجع - على رأي غالب أهل العلم - إلى أقوال أئمة التابعين مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن البصري وغيرهم، فإنهم كانوا بارعين في التفسير، تتلمذوا على أئمة العلم من الصحابة، يقول مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحة الكتاب إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[1].

وتفسير التابعين يُعتمد ويكون حجة إذا أجمعوا على الشيء، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع

مقدمته: ٩٨ - وابن كثير في تفسيره: ١/ ١٤ وغيرهم. انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي: ٤/ ٢٨٦.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩٠ - وأورده ابن تيمية، انظر: مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢ - وابن كثير في تفسيره: ١/ ١٥.

إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.[١]

ثانياً: التفسير بالرأي (الدراية):

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾--﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

في هذه الآيات وغيرها من آيات الذكر الحكيم حث اللَّه تعالى العلماء على تدبر آياته واستنباط معاني كلامه، وبيَّن أنهم مكلفون بتأويل ما لم يحجب عنهم تأويله، وهو الأمر الذي فهمه أكثر أهل العلم من ظاهر الآيات، وسياق الأحاديث والآثار، وشاهدوه من فعل السلف.

غير أن هناك نصوصاً أخرى تفيد أن ثلة من السلف أمسك عن القول في القرآن، وتحرَّج من الخوض فيه، حيطة وتورعاً كان ذلك أم إحجاماً وتمنعاً للخشية، مستدلِّين بظاهر بعض الأحاديث التي تحذر الإقدام على القول في القرآن بالرأي.

وبهذا يتبين أن السلف أمام التفسير بالرأي فريقان:

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٣ - ١٠٥ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٤-١٥.

فريق يرى التفسير بالرأي ويجوزه، وآخرين يرى الوقوف عند المنقول والمأثور، ولكل فريق وجهته وأدلته:

أولاً: المانعون من التفسير بالرأي وأدلتهم:

يقول الواحدي - رحمه اللَّه تعالى -: من شرف هذا العلم - أي علم التفسير - وعزته في نفسه أنه لا يجوز القول فيه العقل والتدبر، والرأي والتفكر، دون السماع والأخذ عمن شاهدوا التنزيل بالرواية والنقل، والنبي ﷺ فمن بعده من الصحابة والتابعين قد شددوا في هذا حتى جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً.(١)

وأفاد ابن تيمية وابن كثير لزوم الوقوف عند المأثور، وصرحا بتحريم التفسير بمجرد الرأي.(٢)

وفصَّل البغوي، فأجاز التأويل الذي هو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، ومنع التفسير إلا بالسماع بعد ثبوته من طرق النقل، وقصد بالتفسير الكلام

---

(١) انظر: تفسير الواحدي: ١/ ٤٧ ويشير بذلك إلى الحديث الذي رواه بسنده عن جندب وسيأتي بعد قليل.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٥ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٥.

في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها.[١]

ومن أدلة المانعين:

- قوله تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].[٢]

وما رواه عبد الرزاق، وابن جرير والبغوي بسندهم عن ابن عباس - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.[٣]

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٩ - وابن جرير: ١/ ٧٧ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وأورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٣٢ - والخازن: ١/ ٦ - وابن كثير: ١/ ١٥ - وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٣٠٣- ٢/ ٥٥٢).

وفي سند الرواية عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، تكلموا فيه، فقال أحمد وأبو زرعة: ضعيف الحديث. وقال ابن عدي: يحدث بأشياء لا يتابع عليها، وقد حدَّث عنه الثقات، وحسن له الترمذي. وصحح له الحاكم وهو من تساهله. تهذيب التهذيب: ٦/ ٩٤ - قال ابن كثير: أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري، ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة، عن عبد الأعلى به، وقال الترمذي: حديث حسن. وهو في الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ١٩٩- وفي الفتح الكبير للسيوطي: ٣/ ٢١٩ - والجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ١٧٧، وضعفه=

وما رواه ابن جرير والبغوي بسندهما أيضاً عن ابن عباس وأورده ابن كثير، بلفظ: من قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار.[١]

وما رواه ابن جرير والواحدي والبغوي بسندهما عن جندب قال: قال رسول اللّه ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.[٢] وفي رواية زاد رزين: ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر.[٣] يقول ابن جرير: يعني أنه أخطأ في فعله حين قال برأيه، لأن قوله ليس بقول عالم إن الذي قال فيه

=الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير: ٥/ ٢٢٨.

(١) التخريج السابق

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٩ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ وقال: غريب - وأورده الماوردي: ١/ ٣٣ - والخازن: ١/ ٦ وأبو حيان: ١/ ٢٥ - وقال ابن كثير ١/ ١٦: وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطعي، وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل. وانظر تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٢١٧ - وهو في الترمذي، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ٢٠٠ - وفي سنن أبي داود، كتاب: العلم، باب: الكلام في كتاب اللّه: ٣/ ٣٢٠ - وفي شرح السنة للبغوي: ١/ ٢٥٩ - وفي فضائل القرآن للنسائي: ١١٤- وأورده السيوطي في الجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ١١٧ وحسنه، قال المناوي في الفيض: ٦/ ١٩٠: رمز المؤلف لحسنه ولعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد اللّه تكلم فيه أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم. -

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢ - والبرهان للزركشي: ٢/ ١٦٤.

قول حق وصواب، فهو بالتالي قائل على اللَّه ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نُهي عنه، وحُظر عليه.(١)

وقال ابن تيمية: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به؛ فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ.(٢)

وروى ابن جرير وأبو عبيد والسمرقندي والبغوي بسندهم عن أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: لا أدري ما الأب! فقيل له: قل من ذات نفسك يا خليفة رسول اللّه. فقال: أيُّ أرض تُقِلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظلُّني إذا قلت في القرآن بما لا أعلم. وفي رواية: إذا قلت: في القرآن برأيي أو بما لا أعلم.(٣)

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٨ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير: ١/ ٧٨ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وأورده الخازن: ١/ ٦ - وابن تيمية في مقدمته: ١٠٨ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦ و٣/ ٤٧٣ وعزياه لأبي عبيد وقالا: منقطع - وهو في فضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٧ط غاوجي - وأخرجه البيهقي في الشعب (ح٣٠٦ - ٢/ ٥٥٦) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥١٢ - وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٥٢ - أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٣١٧ وعزاه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد. وللحديث طرق كثيرة.

وأخرج أبو عبيد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.(١)

وروى ابن جرير عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنه - قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد اللَّه، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.(٢)

وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا أقول في القرآن شيئاً(٣).

وعن يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: ٢٢٧ط غاوجي - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٥١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - والبيهقي في الشعب: (ح٣٠٨ - ٢/ ٥٥٩) وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٩ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

(٢)انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٨٥ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وهو في فضائل أبي عبيد: ٢٢٨ط غاوجي.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٨٥ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وهو في فضائل أبي عبيد: ٢٢٨ط غاوجي.

لم يسمع.[١]

وعن عمرو بن مرة[٢] سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن وسَل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه - يعني عكرمة -.[٣]

وأخرج البغوي عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه -: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة، قال حماد: قلت لأيوب: ما معنى قول أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - فجعل يتفكر فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليها. فقال: هو ذاك، هو ذاك.[٤]

وعن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي تأوَّل آية من كتاب اللَّه قط.[٥]

---

(١) (٣) تفسير ابن جرير ١/ ٨٦ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧.

(٢) هو عمرو بن مُرة بن عبد اللَّه بن طارق المرادي، إمام حافظ، زكاه الإمام أحمد بن حنبل، ووثقه الأئمة، توفي (١١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ١٩٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٠٢.

(٤) تفسير البغوي: ١/ ٤٥.

(٥) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٣ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٨ - ٢٢٩ط غاوجي. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٤/ ٢٢٢.

وأخرج أبو عبيد عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه[١].

وأخرج عن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن اللَّه[١].

وغير ذلك من الأدلة التي ليس هذا موضع بسطها.

أولاً: المجيزون للتفسير بالرأي وأدلتهم:

ويرى المجيزون للتفسير بالرأي - وهم أكثر أهل العلم - أن اللَّه سبحانه قد حثَّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨] وما أشبه ذلك من الآيات التي أمر اللَّه عباده فيها بالاتعاظ بمواعظه، والاعتبار بأمثاله والتفكر في نظمه ومعانيه، مما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله، لكونه لا يجوز أن يقال لهم اعتبر بها وهم لا يعلمون معانيها.

وألزم المجيزون من يقدم على تفسير كلام اللَّه أن يأخذ بالأسباب، ويتعلم وجوه اللغة التي بها نزل القرآن، وأن يقف على أحوال التنزيل،

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٣ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٨ - ٢٢٩ط غاوجي. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٤/ ٢٢٢.

وينظر في أقوال العلماء المتقدمين، وغير ذلك من العلوم التي تعين على فهم النص القرآني فهماً صحيحاً.

واستدل المجيزون بأدلة عديدة منها:

١- ظاهر الآيات التي حث الله تعالى فيها عباده من أهل العلم على الاعتبار بالآيات، مثل قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

٢- بعض الآثار التي وردت عن السلف تبين وتوضح أنهم قالوا في القرآن بالرأي:

يقول ابن عطية: كان جُلَّة من السلف كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم، وكان جلَّة من السلف كثير عددهم يفسرونه - القرآن - وهم أبقوا[1] على المسلمين في ذلك.[2] ومن هذه الآثار:

---

(١) تقول: أبقى عليه: أي أشفق عليه ورحمه.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٢٨.

ما رواه ابن جرير عن مسروق[١] قال: كان عبد اللّه يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامَّة النهار.[٢]

وما رواه عن شقيق بن سلمة[٣] قال: استعمل علي ابن عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها.[٤]

وعنه قال: قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت.[٥]

وعن سعيد بن جبير قال: من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، تابعي قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ، كان قاضياً فقيهاً ثقة، توفي بالكوفة (٦٢هـ) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣/ ٤٩٢- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٦٣.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨١.

(٣) هو شقيق بن سَلَمَة الأسدي، شيخ الكوفة، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وحدَّث عن الصحابة، ثقة كثير الحديث، توفي (٨٢هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٥٤٨ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ١٦١.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨١ - وقد ذكرهما الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤/ ٩٣.

(٥) المراجع السابقة.

كالأعرابي.[١]

كما تكلم عدد من التابعين في التفسير كالحسن البصري والضحاك بن مزاحم والسدي وغيرهم، ثم تتابع الناس وألفوا في التفسير التآليف، خاصة حين فسد اللسان، وكثرت العجمة بدخول الناس في الدين، واحتاج الناس إلى فهم النص القرآني، وإلى البيان والتوضيح، وشرح الألفاظه والمفردات.

٣- أن الرسول ﷺ وصحابته لم يفسروا القرآن كله، بل الثابت أن الرسول ﷺ لم يفسر من القرآن إلا اليسير، أخرج ابن جرير وغيره عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت: ما كان رسول اللّه ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد علمهن إياه جبريل.[٢] وقد سئل علي بن أبي طالب - كرم اللّه وجهه -: هل خصكم رسول اللّه ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندناغير هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه.[٣] فكيف يفهم ما لم يرد فيه نص.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٠.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٤ وقال في: ٨٩: الخبر معلول في إسناده، وفيه جعفر بن محمد الزبيري، وهو غير معروف عند أهل الأثر. وقال ابن كثير ١/ ١٨: حديث منكر. وأخرجه أبو يعلى في مسنده: ٨/ ٢٣ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٠٣.

(٣) أورده أبو حيان في تفسيره: ١/ ١٣ - والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: ١/ ٣٦.

٤- الاختلاف والتباين في التفسير المنقول عن كثير من الصحابة والتابعين للآية الواحدة، فالناظر فيها يرى أقوالاً كثيرة متباينة الأوصاف، بل قد تكون متعارضة، وذلك دليل على أنهم كانوا يقولون في القرآن بالرأي، وكتب التفسير تزخر بكَمٍّ من تلك الأقوال، وإن كان بعض الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن التباين هو تباين في الألفاظ وليس اختلافاً في المعاني.[١] ويرى غيره من أهل العلم أن التفسير متفق عليه ومختلف فيه، وهو - أي المختلف - ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعاني، وهذا الذي عناه ابن تيمية.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد.

الثالث: اختلاف في المعنى. وهو الذي عنيناه هنا.[٢]

يقول القرطبي: إن الصحابة قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، فإن النبي دعا لابن عباس وقال: اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.[٣] فإن كان التأويل مسموعاً

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٤ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

(٣) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٦ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٣ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٧٦ وقال: هو في الصحيح غير قوله: وعلمه التأويل. ورواه=

كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك.[١]

٥- أن منع التفسير بالرأي يفضي - كما يقول أبو حيان - إلى أنَّ ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه، وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز لا يكون تفسيراً حتى يُنقَلَ بالسند إلى مجاهد ونحوه، قال: وهذا كلام ساقط.[٢]

وقد وجه المجيزون الصحيح من أدلة المانعين، كما ردوا بعضها، فقالوا:

إن الآيات والأخبار التي أوردوها والتي يفيد ظاهرها المنع إنما هي من الوجه الذي لا يُعلم إلا بنص بيان رسول اللَّه ﷺ، أو نصبه الدلالة عليه[٣].

وعن الآثار التي تفيد تحرج بعض السلف من تفسير القرآن، يبين ابن

=أحمد والطبراني بأسانيد. وهو عند البزار والطبراني: اللّهم علمه تأويل القرآن. ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح.

وهو عند البخاري، كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء: ١/ ٤٥ - وفي صحيح مسلم بلفظ: اللّهم فقهه. كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد اللّه بن عباس: ٤/ ١٩٢٧ - وفي مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٦٦ و٣١٤.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٧٤.

الأنباري أنهم إنما كانوا يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعضهم يقدر أن الذي يفسره لا يوافق مراد اللَّه عزَّ وجلَّ فيُحجِمُ عن القول، وبعضهم يُشْفِقُ من أن يجعل في التفسير إماماً يبنى على مذهبه، ويقتضى طريقه، فلعلَّ متأخراً أن يفسر حرفاً برأيه ويخطئ فيه ويقول: إمامي في التفسير بالرأي فلان، الإمام من السلف.[١]

ويَحمل ابن تيمية هذا التحرج عن الكلام فيما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه. قال: وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].[٢]

وقالوا: في حديث جندب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قال: في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»: في سنده سهيل بن أبي حزم القُطعي، تكلم بعض أهل العلم فيه، وقال الترمذي: حديث غريب.[٣]، وعلى فرض صحته يقول ابن الأنباري: إن أهل العلم حملوه على أن الرأي معنيٌّ به الهوى، أي من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٤.

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٤ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٨.

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٦ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

فأصاب فقد أخطأ، لحكْمِه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.[1]، كمن يحتج ببعض الآيات على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، أو كمن يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أُريد به، مثل الذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي بقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٤٢].

قال الماوردي: تمسك فيه - في الحديث - بعض المتورعة واستعمل الحديث على ظاهره، وامتنع أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده عند وضوح شواهده، إلا أن يرد بها نقل صحيح، ويدل عليها نص صريح، فقال: هذا عدول عما تعبد اللَّه تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين، حيث جعل لهم سبيلاً إلى استنباط أحكامه، قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] قال: لو كان ما قالوه صحيحاً لكان كلام اللَّه تعالى غير مفهوم، ومراده بخطابه غير معلوم.، وتأوَّل الأثر على فرض صحته على أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل.[2]

ومعنى الحديث عند ابن عطية أن يُسألَ الرجل عن معنًى في كتاب اللَّه فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء، واقتضته قوانين العلوم

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٣.

كالنحو والأصول، وليس يدخل فيه أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر.[١]

وعن قوله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»: قال ابن الأنباري: فسر هذا الحديث تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو معرض لسخط اللَّه.

والجواب الآخر - وهو أثبت القولين وأصحهما معنى -: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار.[٢]

قال ابن جزي: تأويله فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.[٣]

وهكذا يظهر لنا أن اللَّه تعالى قد جعل إلى العلماء بعد رسول اللَّه ﷺ استنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله، ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم، قال

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٦.

تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فصار الكتاب أصلاً، والسنة له بياناً، واستنباط العلماء له إيضاحاً وتبياناً.(١)

المسألة الثالثة: أنواع التفسير:

لم يتطرق المفسرون لأنواع التفسير في مقدماتهم عدا ابن عطية وابن جزي وأبي حيان، فقد ذكروا شيئاً عن تفاسير الباطنية بإيجاز، فنبه ابن عطية إلى انحراف هذا الاتجاه، وأفاد أنه جعل تفسيره سالماً من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بالباطن، ونبه القارئ إلى ما يكون قد وقع فيه، من نقله لأقوال بعض العلماء الذين حازوا حسن الظن عنده، ويكونوا قد اعتمدوا آراء من هذا النوع.(٢)

وذكر ابن جزي أن المتصوفة تكلمت في تفسير القرآن، فكان منهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته - كما قال - إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد(٣) ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ١٠.

(٣) قلت: حقيقة مراد الله لا يجزم به، وأهل العلم والمفسرون منهم يسعون للوقوف على مراد الله ولا يجزمون بأن ما توصلوا إليه هو عين مراد الله، فلا يسلم لابن جزي مقولته، والله أعلم.

وقد اختلف العلماء في قبول تفسير الصوفية، وهو التفسير الإشاري، فمنهم من قبله،=

تقتضيه اللغة العربية، كما فعل عبد الرحمن السلمي الذي جمع تفسيراً سماه (الحقائق)، وقال فيه بعض العلماء: بل هي بواطل. قال ابن جزي: فإذا انتصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل.[١] كما أشار أبو حيان إلى هذا اللون المنحرف، وصرح بأنه لا يلتفت إلى مثل هذه الطائفة، لكونهم يخرجون الألفاظ عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى.[٢]

=ومنهم من رده، وآخرون توسطوا، فقبلوه بشروط، ومن هؤلاء ابن جزي كما يظهر من قوله. وقد وضع العلماء شروطاً عديدة لقبول هذا اللون من التفسير تتلخص في شرطين:

الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر في لسان العرب، ويكون على أساليب كلامهم.

الثاني: أن يكون له شاهد، نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

انظر: الموافقات للشاطبي: ٣/ ٣٩٤ - والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم: ٥٠ - ومناهل العرفان للأستاذ الزرقاني: ٢/ ٨١ - وابن جزي ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري: ٢/ ٦٠٢.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٣.

وقد بحث هذا الموضوع السيوطي في الإتقان: ٤/ ١٨٠ - وابن عقيلة في الزيادة والإحسان: ٣/ ٩٥٤ تحقيق الشيخ / مصلح السامدي.